تداولية الفعل التعليمي من منظور تواصلي

The deliberativeness of the educational act from a communicative perspective

1-مكي موسى*

جامعة ابن خلدون تيارت(الجزائر)moussa69_m@hotmail.com

2-د/ موفق عبد القادر

مخبر الخطاب الحجاجي (جامعة ابن خلدون تيارت)

تاريخ الارسال.2020/09/12 تاريخ القبول 2022/01/17 تاريخ النشر: 2022/06/16

ملخص:

التّواصل عملية يتمّ من خلالها انتقال المعارف والقيم والاتّجاهات والمهارات بين طرفين أو أكثر من أجل تأثير أحدهما بالآخر، وإحداث تغيرات مرغوب بها في سلوك الطّرف الآخر، وهو ضرورة حياتية لا يمكن للإنسان أن يستغني عنها.

والعملية التّعليمية التّعلّمية هي عملية تواصلية بالأساس بين المعلّم والمتعلّم والمنهاج وهو ما اصطلح عليه بالتّواصل الدّيداكتيكي. ومن ثم فهي تخضع لمجموعة من المحددات التي تخضع لها أية عملية تواصلية أخرى. لكن هذا لا يمنع من أن بعض مميزاتها تجعل من التواصل فيها ظاهرة تختلف في بعض جوانبها عما يمكن ملاحظته في مجالات أخرى. فما طبيعة هذا التواصل الذي يصطلح عليه البعض بالتواصل الديداكتيكي، وما هي بعض أشكاله؟ وكيف يؤثر نوع التواصل المعتمد في الفعل التربوي؟ وكيف تساهم مختلف مكونات العملية التعليمية الذاتية والموضوعية في تحسين مردود الفعل التربوي؟ تلك هي الأسئلة التي سنحاول الإجابة عنها في هذا المقال الموسوم بـ: " تداولية الفعل التعليمي من منظور تواصلي ".

الكلمات المفتاحية: التّواصل–الدّيداكتيك–التّداولية–المعلّم–المتعلّم –المعرفة

Abstract :

Communication is the process or method by which knowledge and values, orientations, skills are transmitted between two or more parties so that one affects the other and bring about desirable changes in the behavior of the other part, which is a necessity of life for man.

he teaching-learning process is essentially a communicative process between the teacher and the learner and the curriculum, which is termed dialectical communication. Hence, it is subject to a set of limitations that any other communicative process is subject to. But this does not mean that some of its features make communication a phenomenon that differs in some aspects from what can be observed in other fields. What is the nature of this communication, which some call didactic communication, and what are some of its forms? And how does the type of communication adopted affect the educational act? How do the various components of the subjective and objective educational process contribute to improving the educational response? These are the questions that we will try to answer in this article tagged with: "Pragmatics of the educational act from a communicative perspective."

Keywords: *communication - didactics - pragmatics - teacher - learner - knowledge*

* المؤلف المرسل

التّواصل هو جوهر العلاقات سواء تعلق الأمر بالعلاقات الفردية أو الجماعية، فهو يتضمّن ما هو لفظّي كالكلام المنطوق وما دون ذلك كلغة الإشارات والألوان والعطور. وهو أهمّ وظائف اللّغة الانسانية وهو يمثّل « جميع أشكال الاحتكاك والتّواصل التي تفرضها العلاقات الاجتماعية الإنسانية وتدعو لها الأغراض الحياتية أو المعيشية للفرد والجماعة وتستدعي التّخاطب واستخدام اللّغة في إطارها اللّفظي أو الرّمزي العام بما في ذلك الأغراض التّربوية والتّعليمية» . [1] بفضل اللّغة الّتي هي « قدرة ذهنية مكتسبة يمثلها نسق من رموز اعتباطية منطوقة، يتواصل بها أفراد المجتمع» [2] لأجل الانتفاع في سياق المعاملات البشرية وهو الأمر عينه الّذي قصده ابن جنّي بقوله : «أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم [3]». فقد تضمّن هذا الفهم للّغة أسس الحركة التّواصلية الّتي تبدأ بالصّوت الّذي تتحقّق به الصّفة الكلامية وينتهي بالغاية النّفعية الّتي تحصل بالعبارة السّليمة وفق سياق اجتماعي نفسي يحصل بين المتخاطبين. فإذا نظرنا إلى العملية التعلّيمية التعلّمية فهي عملية تواصلية بالأساس تتمّ من خلال التّواصل الدّيداكتيكي، حيث إنّها تأسّست في عمومها على ركائز أو مكوّنات ضرورية يتمحور حولها الفعل التّربوي الّذي ينشأ من مجموع العلاقات التّفاعلية المتداخلة بين الأطراف، حيث يستمدّ الفعل التّربوي أهمّيته من مدى تفعيل دورها، وهذه الأطراف هي المتعلّم باعتباره محور العملية التعلّيمية التعلّمية وسبب وجودها، والرّكيزة الثّانية هي المعلّم الّذي ينبغي أن يتّصف بمواصفات تؤهّله للمهمّة المسندة إليه.

أما الرّكيزة الثّالثة فهي المعرفة أو المادّة التّعلمية المقرّرة في ظلّ المنهاج التّربوي المختار للتّطبيق، الكاشفة بحق عن سيرورة التّخاطب المعرفي الّتي يحصل معها الانتفاع.

التّواصل يمكن أن يكون لفظيا أو غير لفظي حيث يكون لجسم المعلّم والمتعلم دور في التّواصل كالحركات والإشارات والايماءات والملامح، فالتّواصل هنا ليس مجرّد عملية بسيطة يتمّ من خلالها تبليغ معلومات بطريقة خطّية أحادية الاتّجاه ولكنّه سيرورة يتمّ من خلالها تبادل الأفكار والأحاسيس بين المعلّم والمتعلّم وعليه التّواصل التّربوي ذو طبيعة معقّدة ومركبة، لذا وجب تناوله من زاوية نظر تداولية أو مقاربته مقاربة تداولية.

مصطلح التداولية مشتق من دال يدول دولة وعليه فالتداولية وعليه فالتداولية هي أيضا جعل الكلام دولة بين المتكلّمين (دورية الخطاب).

ومن المعلوم أن المقاربة التّداولية هي« المنهجية الّتي تدرس مجمل العلاقات الموجودة بين المتكلّم والمخاطب مع التّركيز على البعد الحجاجي والإقناعي وأفعال الكلام ...بمعنى أنّ التّداوليات هي ذلك العلم الّذي يدرس المعنى في التّركيز على العلاقة بين العلامات ومستعمليها والسّياق أكثر من اهتمامها بالمرجع أو بالحقيقة أو بالتّركيب

...ومن هنا تدرس المقاربة التّداولية الإشاريات والمقصدية وأفعال الكلام والوظيفة والسّياق والإحالة المرجعية والحجاج اللّغوي والاقناع والحوارية[4]» .

إنّ التّداولية اصطلاحا تعني فيما تعنيه فن استعمال اللّغة في السّياق والتّخاطب وكلّها موجودة في الفعل الدّيداكتيكي حيث تعالج التّداولية القضايا الّتي يهتمّ بها الفكر البيداغوجي كتفكير في الفعل التّربوي بالنّظر إلى الخطاب وعلاقته بالمتكلّم والمتلقّي والسّياق وذلك «أن التّداولية بمختلف نظرياتها تهتمّ بالملفوظ او التّلفّظ الّذي هو النّشاط الرّئيس الّذي يمنح استعمال اللّغة طابعها التّداولي».[5] كونه ينتقل باللّغة من وجودها بالقوّة في الذّهن إلى وجودها بالفعل من خلال الممارسة العقلية وعلى هذا الأساس يتحدّد القصد والغرض من الكلام. «فالتّداولية إذن تدرس اللّغة بعدّها كلاما محدّدا صادرا من متكلّم محدّد وموجّها إلى مخاطب محدّد، بلفظ محدّد».[6] بمعنى أنّ المقاربة التّداولية تسعى إلى دراسة المنجز اللّغوي في إطار التّواصل وليس بمعزل عنه ومعرفة مدى تأثير السّياقات الاجتماعية على نظام الخطاب يقول فان ديك(*van dik*): «والفكرة الأساسية في التّداولية هي أنّنا عندما تكون في حالة التّكلم في بعض السّياقات فنحن نقوم أيضا بإنجاز بعض الأفعال المجتمعية وأغراضنا ومقاصدنا من هذه الأفعال» [7].باعتبارها العنصر الأساسي في الخطاب والمرسل (المخاطِب) والمتلقّي المخاطَب والوضعية التّبليغية ويقابلها في الخطاب التّعليمي (المعلّم) المخاطِب أو المتَكلِّم و المتَعلِّم (المخاطَب أو المتلقّي) ، المادّة الدّراسية الموجودة في المنهاج.

و الخطاب التّعليمي لا يتمّ إلاّ من خلال وضعية تعليمية تعلّمية وهو خطاب يتمّ فيه تحويل المادّة العلمية إلى خطاب ذي طابع تعلّمي وهو ما يعرف النّقل الدّيداكتيكي ذلك أنّ المدرسة لا تدرّس أبدا المعرفة العلمية والّتي هي المعرفة الخام وإنّما تقدّم المحتوى الّذي هو المعرفة الموضوعة للتّدريس وهنا يميّز شوفلر (*Chevallard*)بين أربع مراحل:

مرحلة المعرفة العلمية: وهي معرفة مفتوحة مبنية على مفاهيم مجرّدة ومعقّدة فهي معرفة المتّخصصين؛ أي التّنظير المعرفي وهو سابق في التّبليغ وعليه يرتكز الإجراء.

المعرفة الواجب تدريسها للمتعلّمين: وهي المعرفة الموجودة في المناهج التّربوية والكتب المدرسية، أي معرفة بيداغوجية ذات وظائف محدّدة سلفا ولها صلات بالمخرجات التربوية البيداغوجية وهي ما يسمّى بالغايات.

المعرفة المتداولة في الصّف: وهي المعرفة المستقاة من المعرفة الواجب تدريسها بعد تكييفها حسب المتعلمين كما تخضع لطابع المعلّم الخاص وقناعته الشّخصية. كما هو الحال مع ما يتلقّاه المتعلّم من المقرّرات في شتّى الأنشطة والحقول المعرفية

مرحلة المعرفة المكتسبة: وهي المعرفة الّتي يكتسبها المتعلم بعد تكييفها مع تمثّلاته وهي معرفة تختلف عن المعرفة المدرّسة باعتبارها تخضع لعدّة عوامل منها التّشويش بأنواعه الفيزيقي والسّيكولوجي والدّلالي؛ أي ما حصل واستقرّ في ذهن ووجدان المتعلّم وهو الّذي نسمّيه بالملكة ويمكن للمتعلّم حين حدوث التّصرّف بالمعرفة وفق ما تقتضيه ظروف الحياة.[8]

والخطاب التّعلّيمي خطاب يتمّ فيه تحويل المادّة العلمية إلى مادة خطاب ذي طابع تعليمي. وتهدف التّداولية في محصولها العام للإجابة عن أسئلة تطرح نفسها بقوّة، ولم تستطع المناهج الكثيرة السّابقة الإجابة عنها لأنّها كانت ترى أن المعرفة تقدم جاهزة من طرف واحد وهو المعلّم أما المتعلّم فهو وعاء يحشو فيه الآمر ما يشاء، ومن جملة هذه الأسئلة:

ماذا نصنع حين نتكلّم؟ ماذا نقول بالضّبط حين نتكلم؟ من يتكلّم؟ إلى من يتكلّم؟ ولأجل من؟ ماذا علينا أن نعلم حتّى يرتفع الابهام عن جملة أو أخرى؟ كيف يمكننا قول شيء آخر غير الّذي كنّا نريد قوله؟ هل يمكننا أن نركن إلى المعنى الحرفي لقصد ما؟ ماهي استعمالات اللّغة؟ وهذا ما يقودنا إلى نظرية الأفعال الكلامية الّتي توصف بأنّها أحد أهم محاور الدّرس التّداولي الحديث وهي مجال أساسي« لدراسة مقاصد المتكلّم ونواياه، فالقصد يحدّد هدف المرسل من وراء سلسلة الأفعال اللُّغوية، التّي يتلفّظ بها وهذا ما يساعد المتلقّي على فهم الخطاب، ومن ثم يصبح توفّر القصد والنّية مطلبا أساسيا وشرطا من شروط نجاح الفعل اللُّغوي، الذّي يجب أن يكون متحقّقا ودالاّ على معنى »[9].

ويمكن إعادة صياغة الإشكالات السّابقة في ارتباطها بالفعل الدّيداكتيكي كما يلي:

من يدرّس؟ (مواصفات المعلّمين)

لمن يدرّس؟ (الفئة المستهدفة المتعلّمين)

كيف يدرّس؟ (الطّرائق البّيداغوجية)

ماذا يدرّس؟ (الأهداف وتحقيق الكفاءات)

ومتى ندرّس؟ أي مواقيت التّدريس

ولِمَ ندرّس؟ الغايات والأهداف

ما نتائج التّدريس؟ (تقييم التّعلّيم)

وهذه الأسئلة هي ما يسمّى عند أهل الاختصاص بالتّعليمية كلّها مرتبطة بأقطاب المثلّث الدّيداكتيكي في علاقات جدّ متداخلة لكونها تشتغل كلّيا وبشكل مرتبط فلا يمكن الفصل بينها كيف ما كانت الوضعية

الدِّيداكتيكية موضوع التّحليل إذ تتبادل التّفاعلات بين قطبين وفي الآن ذاته بين الأقطاب الثّلاثة: بشكل كلّي متعدّد الاتّجاهات؛ حيث يتموقع المعلّم والمتعلِّمون بالضّرورة في موقع المرسل تارة والملقي تارة أخرى فبقدر ما يرسل المعلّم رسائل حينما يتحدّث أو يكتب أو يشير بقدر ما يستقبل رسائل أيضا من طرف المتعلّمين والجميع هنا بين المستقبل والمرسل اعتباطيا أي أنّه يحدث دون تخطيط أو تحضير مسبق بل يشير إلى أنّ التّمييز بينهما مسألة إجرائية فقط في عدد من الوضعيات التّواصلية إذ أنّه في حالة التّواصل لابدّ أن يكون التّفاعل قائما على التّشارك بين المعلّم والمتعلِّمين لأنّ تمركز الأستاذ حول ذاته يعتبر من معوقات التّواصل.

في التّواصل إذن يصير المتكلِّم متلقّيا ويصير المتلقّي متكلِّما في الآن نفسه، فالمعلِّم يقوم بدور الموجِّه في سيرورة العملية التّعليمية التّعلمية بشكل لا يقِّل عن نظيره لدى المتعلّم حيث يتمُّ الانطلاق من مصلحة مفادها أنّ معرفة المربّي للمتعلِّم هي أولى شروط نجاح العملية التّعليمية التعلُّمية. وبالتّالي فمعنى الرِّسالة أمر يشترك فيه كلُ من المرسل والمتلقّي.

أما فيما يخصّ المادّة الدّراسية و الّتي هي موضوع الرّسالة أو المحتوى الّذي يرغب المرسِل المتمثّل في المعلّم إبلاغه للمتلقّيين (المتعلِّمين) فهو يتضمّن المعلومات و الأفكار، والفرضّيات الموجودة في ذهن المرسِل الّذي يعمل على إرسالها إلى متلقّ معيّن بغية التّأثير في سلوكه وهنا نجد أنّ للتّداولية بعدا حجاجيا باعتبارها علم استعمال اللُّغة حيث أنّ التّواصل بين المعلّم و المتعلِّم لا يتمّ من أجل لا شيء بل يأتي لربط العلاقات بهدف التّأثير في المتعلّم عن طريق تحريك اعتقاد أو تبرير قرار أو الدّفع إلى عمل فالأمر يتعلّق بالهدف من الاستعمال لآلية من آليات التّداولية[10]. فالمتعلّمون لا يتمثّلون ما يطرح عليهم من طرف المعلّم إلاّ إذا اقتنعوا بهذه الأفكار والتّوجيهات وذلك انطلاقا من الفكرة أنّنا نتكلّم عامّة بقصد التّأثير حيث تقول آن ربول« أنّنا حين نتكلّم فنحن نسعى من جهة إلى حمل المخاطَب على أن يتقاسم آراءنا والتّمثلات المتعلّقة بموضوع معين ونسعى من جهة أخرى إلى حمل الآخرين (المستمعين) على الاقتداء بأكبر قدر ممكن من آرائنا »[11]. من هنا يظهر أنّ للتّداولية بعدا حجاجيا باعتبارها علم استعمال اللّغة حيث يتم تداول هذه الأخيرة بين أفراد متكلّمين هما المرسل و المتلقي (المعلِّم و المتعلّم) في سياقات مختلفة من خلال الوضعية التّعليمية التعلُّمية فيتم التّواصل بينهما إلاّ أنّ هذا التّواصل لا يتمّ من أجل لا شيء بل يأتي لربط العلاقات مع الغير بهدف التّأثير فيه و ذلك عن طريق تحريك اعتقاد أو تبرير قرار أو الدّفع الى عمل فالأمر يتعلّق بالهدف من الاستعمال الّذي هو تحقيق الكفاءات المرجوة من العملية التَّعلِّيمية التَّعلّمية وذلك بعد حصول الإقناع والاقتناع.

يعتبر الإقناع من أهم وظائف التّواصل وغاياته: «فالإقناع هو أحد طرفي العلاقة بين رسالة هادفة إلى توجيه الفكر أو الاعتقاد وطرفها الآخر هو الاقتناع وهذان الطّرفان متلازمان وجودا أو عدما فلا وجود للاقتناع دون وجود الاقناع»[12]

ولا يمكن أن تتم العملية التّعليمية التّعلمية إلاّ بوجود تعاون بين المعلّم والمتعلّم وهو ما جاء به غرايس ويتجّسد مبدأ التّعاون بين المتخاطبين في" أربع قواعد سلوكية عامة:

1 قاعدة الكمّية: وتنصّ على أن تكون مساهمة المتخاطبين بالقدر الكافي دون زيادة أو نقصان.

2 قاعدة النوعية: أن تتّصف بمساهمة المتخاطبين بالصّحة فلا تحتوي إفكا أو شيئا لا تعززه الشّواهد.

3 قاعدة المناسبة بحيث تكون المساهمة في الحديث مناسبة للمقام

4 قاعدة الهيئة: بحيث تكون المساهمة في الحديث موجزة منتظمة خالية من الغموض والتّلاعب بالألفاظ».[13]

بالإضافة إلى هذه القواعد هناك قواعد أخرى يجب أن يتحلّى بها المدرّس كالتّواضع، وحبّ المتعلّم والرّسالة، والتّسامح.

مما لا شكّ فيه أنّ نجاح العملية التّعليمية التّعلّمية مرهون أوّلا بطبيعة المادّة المعرفية المقدّمة للمتعلّم، وعلى ما يقوم به المتعلّم نفسه لفهم المعارف واكتسابه لمهارتها، مع تحسينها باستمرار. كما يجب الاهتمام بقابلية المتعلّم واستجابته للتعلّم واحترام شخصيته فضلا عن حبّه لأنّ تجربته هي الأساس في نجاح العملية التّعليمية التعلّمية.

مراجع البحث:

[1] احمد محمد معتوق، الحصيلة اللغوية سلسلة عالم المعرفة، العدد 212، 1996، ص71

[2] عمر مهيبل، إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة، منشورات الاختلاف، ط1، 2005، ص31

[3] ينظر ابن جني (أبو الفتح عثمان)، الخصائص، تح علي النجار، دار الهدى، المكتبة المصرية، 2000، ص33

[4] جميل الحميداوي: التداوليات وتحليل الخطاب، مكتبة المثقف، ط01، 2015، ص7.

[5] عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الفارابي، بيروت، لبنان ،2004، ط1ص27

[6] مسعود صحراوي التداولية عند العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة بيروت لبنان ،2005، ط1، ص 162.

[7] فان ديك: النص والسياق استعمال البحث في الخطاب الدلالي التداولي تر عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، المغرب 2000 الرباط، دط، ص 292.

[8] ينظر عابد بوهادي: تحليل الفعل الديداكتيكي (مقاربة لسانية ديداكتيكية)، دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلّد*39*، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، العدد 2، *2012*، ص375.

[9] فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، تر سعيد علوش، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع سوريا 1997، ط1، ص 38.

[10] ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 457.

[11] آن ربول وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل تر سيف الدين دعفوس ومحمد الشيباني، دار الطليعة، بيروت، لبنان ،2003، ط1 ص 64.

[12] سمير شريف استيتية، اللسانيات (المجال، والوظيفة،والمنهج)، عالم الكتب، إربد، الاردن،ط2، 2008، ص700،701

[13] سوق والتوزيع والنشر الفكر للطباعة دار العربية)، اللغة في والبراغماتية (السيمنتيكية الدّلالة علم شاهر حسن، ص168 ،*2001 1* الحسيني ط الجامع ساحة البتراء(الحجيري)

مكتبة البحث:

1- احمد محمد معتوق، الحصيلة اللغوية سلسلة عالم المعرفة، العدد 212، 1996.

2- آن ربول وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل تر سيف الدين دعفوس ومحمد الشيباني، دار الطليعة، بيروت، لبنان ،2003، ط1.

3- جميل الحميداوي: التداوليات وتحليل الخطاب، مكتبة المثقف، ط01، 2015.

4- ابن جني (أبو الفتح عثمان)، الخصائص، تح علي النجار، دار الهدى، المكتبة المصرية، 2000.

5- سمير شريف استيتية، اللسانيات (المجال، والوظيفة،والمنهج)، عالم الكتب، إربد، الاردن،ط2، 2008.

6- شاهر حسن، علم الدلالة (السيمنتيكية والبراغماتية في اللغة العربية)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع سوق البتراء(الحجيري) ساحة الجامع الحسيني .ط*1 2001*م.

7- عابد بوهادي: تحليل الفعل الدّيداكتيكي (مقاربة لسانية ديداكتيكية)، دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلّد*39*، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، العدد 2، *2012*.

8- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الفارابي، بيروت، لبنان ،2004، ط1.

9- عمر مهيبل، إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة، منشورات الاختلاف، ط1، 2005.

10- فان ديك: النص والسياق استعمال البحث في الخطاب الدلالي التداولي تر عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، المغرب 2000 الرباط، دط.

11- فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، تر سعيد علوش، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع سوريا 1997، ط1.

12- مسعود صحراوي التداولية عند العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة بيروت لبنان ،2005، ط1.